أبو اسحاق النجيرمي

بدأت في العدد الماضي من الزهراء بنشر رسالة

﴿ أيمان العرب في الجاهلية ﴾

التي ألفها أبو اسحاق إبراهيم بن عبد الله بن محمد النَّجِيرَمِيُّ وسأنشر بقيتها في العدد الآتي من (الزهراء) ؛ وهي أوفى ما اطَّلعتُ عليه في موضوعها

وقد أفادتنا هـذه الرسالة ـ في جملة ما استفدناه منها ـ أن الحَلِفَ بالله جلَّ وعزَّ كان رأس الأيمان عند العرب ، لأن أكثرهم كان على مِلَّة الحنيفية إرث أبينا إبراهيم صـلى الله عليه وسـلم . وقد ورثه آل اسماعيل وأخوالُهم من جُرْهُم ومَن هبط عليهم بَطحاءَ مكة من بني خُزاعة وغيرهم . وهي مِلَّة التوحيد التي شِيبَتْ ـ في المدّة القصيرة بين زمن عمرو بن لُحَيّ الخزاعي وبين ظهور النور المحمّدي العميم ـ بمثل ما تُشاب به العقائد عادةً اذا ابتعدتْ عن ينبوعها الصافي

وإن عناية علماء العربية من سلَفٍ وخلَفٍ بحفظ الصِّيَغ التي كانت العرب تختارها للحلف بها ، لهي مما يسهّل علينا اليوم ان نتصوّر هذا الجانب من أحوال سُكان أواسط جزيرة العرب ، أيام لم تكن تُدوَّن أخبارهم وأحوالهم في كتاب

المؤلف

والنجيرميُّ ـ مؤلف هذه الرسالة ـ من رجال العربية والأدب والتاريخ ، ذكره ياقوت في (معجم الادباء) وفي (معجم البلدان) ، والصفَدي في (الوافي بالوفيات) ، والسيوطي في (بغية الوُعاة) ، والزَّبيدي في (تاج العـروس) وقال عنه : « . . . مؤلف كتاب (أيمان العرب) وهو عندي بخط قديم . . »

وكان مُقام أبي اسحاق النجيرميّ في مصر ، وتولى فيها منصباً من أجلّ المناصب السياسية يومئذ وهو منصب الكتابة لكافور الاخشيدي [١] القائم بأعباء المملكة المصرية في النصف لاول من القرن الرابع الهجري . والظاهر أن النجيرمي كان من منصبه هذا في طمأنينة وهناء لم يبقيا له بعد كافور ، بدليل رجز صغير له يفيد هذا المعنى ، وسيأتي بعد

وكان النجيرمي ـ فضلاً عن مكانته هذه في ادارة الحكم بوادي النيل ـ مرجعاً في التعليم والإفادة ، وقد ورد في النتف التي تركها لنا المؤرخون من ترجمته أن ممن أخذ العلم عن النجيرمي أبا الحسين المهلّبي ، وأبا اسامة جنادة ابن محمد اللغوي الازدي الهروي [٢] الذي قتله الحاكم صاحب مصر سنة ٣٩٩ ، قالوا : وقد أخذ عنه غيرهما كثير من أهل العلم

مؤلفاته

وفي كتب التراجم نقص وتقصير فيما جاءتنا به عن أبي اسحاق النجيرميّ ، حتى أنها لم تشر الى شيء من مؤلفاته . وقد رأيت ما نقلناه عن الزبيدي في التاج من ذكر (أيمان العرب) واطلاعه على نسخة قديمة منه . وذكر ياقوت في مواضع متفرقة من (معجم البلدان) بعض مؤلفات للنجيرمي ، منها (في مادة البريص) كتاب الامالي ، وفي مادة (كفر نجد) أن له تعليقاً ، وقال (في مادة الجابرية) : كذا هو مضبوط فيما كتبت عن أبي اسحاق ابراهيم بن عبد الله النجيرمي . وقال في ترجمة النجيرمي من معجم الادباء « قرأت في كتاب من املاء النجيرمي . . . » ولم يسمّ هذا الكتاب

(١) أنظر ترجمة كافور في وفيات الاعيان

(٢) روى ذلك ياقوت في ترجمة النجيرمي من معجم الادباء ، والصفدي في الوافي بالوفيات (٥ : ٣٣ النسخة التيمورية) ، والسيوطي في بغية الوعاة (ص ١٨١)

شعره

ولمؤلف (أيمان العرب) شعر بليغ ، رأيت منه قطعتين : احداهما من القصيد وقد ارتجلها في حضرة كافور الاخشيدي [1] وذلك ان الفضل بن عباس دخل على كافور فقال له « أدامَ اللهُ أيامِ سيدنا الاستاذ » فتبسم كافور الى أبي اسحاق النجيرمي ، فقال ابو اسحاق :

لاغروَ إن لحن الداعي لسيدنا ... وغُصَّ من هيبة بالريق والبهر
فمثلُ سيدنا حالت مهابتُه ... بين البليغ وبين القول بالحَصرِ
فان يكن خفض الايام عن دهش ... من شدّة الخوف لامن قلة البصر
فقد تفاءلتُ في هـذا لسيدنا ... والفألُ نائرُه عن سيد البشر
بأن أيامَه خفض بلا نصب ... وان دولته صفوٌ بلا كدر

فأمر له كافور بثلاثمائة دينار ، وللفضل بمثلها

والقطعة الثانية من الرجز نقلها ياقوت فى معجم الادباء عن كتاب من إملاء النجيرمي لم يسمّه واملها من شعره بعـد كافور . قال كاتبها : أنشدنى أبو اسحاق وعي له :

بدَّلني الدهرُ أميراً معورا ... بسيد كان خضمًّا كوثرا
اذا شممتُ كفَّه مؤمّلا ... شممتُ منه عَنبراً مقتّرا [2]
بما أشمُّ مِسكاً وعنبرا ... يا بدلاً كان لقاء أعورا

(١) ذكرت فى ترجمة النجيرمى من معجم الادباء ، والواق بالوفيات ، ونبذة الوعاة ، وفى ترجمة كافور من وفيات الاعيان

(٢) النمر : زنخ اللحم . والمقتر من القتار وهو الدخان من المطبوخ

تنسبه الى غيره

ونسبوا له قطعة ثالثة وليست له ، فقد قال ياقوت : وأنشدهم أيضاً لنفسه :

وإني فتى صبر على الأين والوجى ... اذا اعتصروا للوح ماء فظاظها[1]

اذا ضربوها ساعة بدمائها ... وحلّ عن الكوماء عقد شظاظها[2]

فانك ضحاك الى كلّ صاحب ... وأنطقُ من قُسّ غداة عُكاظها

اذا اشتغب المولى مشاغب معشم ... فمذرة فيها آخذ بكظاظها[3]

والظاهر ان الذين سمعوا هذا الشعر من أبي اسحاق النجيرمي توهموا انه ينشدهم لنفسه ، وحقيقة الشعر أنه لرجل من إياد يذكر عذرة بن حجرة الخطيب الايادي[4] كما نص على ذلك امام الادباء أبو عثمان الجاحظ في البيان والتبيين (١ : ٢٥ الطبعة الثانية)

وفاته

هذا كل ما استطعت معرفته عن أبي اسحاق النجيرمي ، وأنه معاصر لكافور ، ولم يذكر لنا مترجموه سنة وفاته ، الا الصفدي فانه ترك لها بياضاً في آخر ترجمة النجيرمي من الوافي بالوفيات فقال : توفي رحمه الله في . . . . ثم لم يتيسر له أن يملأ موضع البياض

---

(١) الاين : الاعياء والتعب . الوجى : الحفا وهو أن يرق الحافر وينصدع . اللوح : العطش . الفظاظ : جمع فظ ، هو ماء الكرش يعتصر ويشرب منه عند عوز الماء في المفاوز

(٢) الكوماء : الناقة الضخمة السنام . الشظاظ : خشبة عثناء محدودة الطرف تجعل في عروتي الجوالقين اذا عكما على البعير

(٣) في البيان والتبيين : « اذا شغب المولى مشاغب معشر » أي فرّق طرقهم . الكظاظ الشدة والتعب في الامر حتى يأخذ بالنفس ، والممارسة الشديدة في الحرب

(٤) وذكر شاعر ايادي آخر عذرة فقال :

كقس اياد أو لقيط بن معبد ... وعذرة والمنطيق زيد بن جندب

النجيرميون

وقد عُرف باسم النجيرمي غير واحد ، منهم يوسف بن يعقوب النجيرمي (٣٤٥ ـ ٤٢٣هـ) وابنه بهزاد بن يوسف وكان مقامهما في مصر أيضاً . قال ابن خلكان في ترجمة يوسف : هو من أهل بيت فيه جماعة من الفضلاء الادباء ، مامنهم الا من هو ماهر في اللغه كامل الادوات متقن لها

نجيرم

قالوا : ونجيرم محلة في البصرة وقريه كبيرة على ساحل الخليج الفارسي دون سيراف بما يلي البصرة ؛ وربما قيل لها نجارم ، والتجار وأهلها يقولون نيرم فيسقطون الجيم تخفيفاً . قال ياقوت في معجم لبلدان : رأيتها مراراً ، ليست بالكبيرة ، ولا بها آثار تدل على انها كانت كبيرة أولاً . فان كان بالبصرة محلة يقال لها نجيرم فهم ناقلة هذا الاسم اليها ـ أي الى القرية ـ وليس مثلها ماينقل منها قوم يصير لهم محلة . يعني ان القريه التى على الخليج الفارسي ينبغي ان تكون سميت باسم المحلة التى فى البصرة

الاصل الذى اعتمدت عليه

وقد اعتمدتُ على نسختين فى طبع رسالة (أيمان العرب) احداهما فى مكتبة حضرة العالم المحقق الجليل صاحب السعادة أحمد تيمور باشا (رقم ٣٦٢ لغة) وهى فى عشر صفحات متوسطة الحجم ليس فيها تاريخ كتابتها ، ولا اسم كاتبها ، ويغلب على الظن انها من القرن العاشر الهجري وفيها تحريف كثير ونقص . ويليها تراجم منقولة من كتاب الغنية فى تسمية شيوخ القاضي عياض ومن غيره

والنسخة الثانية فى دار الكتب المصرية (رقم ٢٣٤ مجاميع) وهى فى عشر

صفحات أيضاً وتشابه النسخة الاولى فى تحريفها وفى خلوها من التاريخ واسم الكاتب. فاضطُررت الى تصحيح كل فقرة فيها من مظانها فى كتب الادب واللغة ونبّهت على أكثر ذلك فى أسفل الصفحات ، وأظنني تمكنت من ردّها الى أصلها الصحيح بقدر ما تبلغ الطاقة

﴿ مدرسة الطب العربية ـ في دمشق ﴾

للفرنسويين فى ديار الشام لجنة طبية تتولى فحص متخرجى المدارس الطبية الثلاث : الاميركية واليسوعية في بيروت ، والعربية فى دمشق . وقد انتهت في هذا الشهر من فحصهن ، فخطب رئيسها القائد الفرنسوي الدكتور ترانو على متخرجى المدرسة العربية قائلا :

سادتي ،

لا تنتظروا من أحد أطباء الجيش خطابا طويلا ، ولكني بهذه الجمل القليلة أريد أن اوضح لكم ما خامر قلوبنا من السرور حينما ندبنا أنا ورفيقاى لنكون من أعضاء لجنة الامتحان الاجمالى. ان هذه الفرصة أيها السادة المُجازون قد سنحت لنا لنتحقق بأنفسنا ان طلاب المعهد الطبي العربى لم يتركوا مجالا لتفوق زملائهم من طلاب المعهدين الفرنسي والاميركى عليهم . لقد شاهدنا طلاب المعاهد الطبية الثلاثة فى بيروت ودمشق ونلنا شرف اختبار مقدرتكم جميعاً فكان اعجابنا عظيما بمواهبكم وحافظتكم القوية وذكائكم الوقاد وقابليتكم لاكتساب كل العلوم التى تأتيكم عن الحضارة الغربية ، تلك الحضارة التى ليست هي فى الحقيقة الا بنت حضارة أجدادكم العرب الاولين ، فى العهد الذي انجبوا فيه أمثال ابن سينا . لقد وقفنا بانفسنا على مواهبكم العقلية كما وقف من قبلنا كثير من ادبائنا وكتابنا الذين أتوا بلادكم على نبل أخلاقكم . وقد اتيح لنا أن نذوق لذة الاقامة فى مدينتكم تحت ظل خمائلها الزمرّدية ، وبين خرير ينابيعها المترقرقة اللجينية ، وقد استنشقنا هواءها المشبع بذكرى ماضيكم المجيد . فهذه الايام القصيرة التى قضيناها بينكم ـ ايها السادة ـ ستبقى من أسعد أيامنا